بسم الله الرحمن الرحيم

التَّنَمُّرُ وَأَثَرُهُ عَلَى شَخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِ 24 صَفَر 1448هـ

أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، فَهِيَ وَصِيَّةُ اللهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾، وَتَقْوَى اللهِ هِيَ امْتِثَالُ الْوَاجِبَاتِ، وَاجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَاتِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مِنْ أَبْرَزِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ التَّنَمُّرَ عَلَى أَمْرِ اللهِ ﷻ، وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ؛ حَيْثُ يَعْمِدُونَ إِلَى ذَلِكَ إِثَارَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَتَشْكِيكًا فِي الثَّوَابِتِ. إِنَّهُمْ دُعَاةُ الضَّلَالَةِ، وَخَفَافِيشُ الظَّلَامِ، تَرَاهُمْ يَضْرِبُونَ النُّصُوصَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ؛ رَغْبَةً فِي وُقُوعِ الْحَيْرَةِ، وَنَشْرِ دَعَوَاتِ الْخُرُوجِ عَلَى الثَّوَابِتِ وَالْقِيَمِ، وَمُحَارَبَةِ الْفَضِيلَةِ، وَوُقُوعِ الْهَرَجِ وَالْفَوْضَى، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الدُّعَاةُ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ وَأَجَلِّ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الِاسْتِجَابَةَ لِلَّهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: أَيْ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حَقِيقَةً، الَّذِينَ صَدَّقُوا إِيمَانَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ حِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، سَوَاءٌ وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ أَوْ خَالَفَهَا، ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أَيْ: سَمِعْنَا حُكْمَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَجَبْنَا مَنْ دَعَانَا إِلَيْهِ، وَأَطَعْنَا طَاعَةً تَامَّةً، سَالِمَةً مِنَ الْحَرَجِ. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ حَصَرَ الْفَلَاحَ فِيهِمْ؛ لِأَنَّ الْفَلَاحَ: الْفَوْزُ بِالْمَطْلُوبِ، وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَلَا يُفْلِحُ إِلَّا مَنْ حَكَّمَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَطَاعَ اللهَ وَرَسُولَهُ. اهـ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ تَعْظِيمَ الرَّبِّ ﷻ وَتَمْجِيدَهُ يَسْتَلْزِمُ تَعْظِيمَ أَحْكَامِهِ وَنُصُوصِ شَرِيعَتِهِ، قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ

رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْوَابِلِ الصَّيِّبِ»: أَوَّلُ مَرَاتِبِ تَعْظِيمِ الْحَقِّ ﷻ تَعْظِيمُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يَعْرِفُ رَبَّهُ ﷻ بِرِسَالَتِهِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ، وَمُقْتَضَاهَا الِانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِتَعْظِيمِ أَمْرِ اللهِ ﷻ وَاتِّبَاعِهِ، وَتَعْظِيمِ نَهْيِهِ وَاجْتِنَابِهِ، فَيَكُونُ تَعْظِيمُ الْمُؤْمِنِ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَنَهْيِهِ دَالًّا عَلَى تَعْظِيمِهِ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَيَكُونُ بِحَسَبِ هَذَا التَّعْظِيمِ مِنَ الْأَبْرَارِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ، وَصِحَّةِ الْعَقِيدَةِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ النِّفَاقِ الْأَكْبَرِ. اهـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ تَحْكِيمَ الْعُقُولِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْآرَاءِ فِي الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ هُوَ الْمُنْطَلَقُ الَّذِي انْطَلَقَتْ مِنْهُ فِرَقُ الضَّلَالَةِ وَالْأَهْوَاءِ، كَالْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ؛ فَشَوَّهُوا بِذَلِكَ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَرَدُّوا بِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحْكَامَ، وَكُلُّ هَذَا بِسَبَبِ زُبَالَاتِ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ. إِنَّ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ يُخْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ حُبُوطِ أَعْمَالِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»: فَإِذَا كَانَ رَفْعُ أَصْوَاتِهِمْ فَوْقَ صَوْتِهِ سَبَبًا لِحُبُوطِ أَعْمَالِهِمْ، فَكَيْفَ تَقْدِيمُ آرَائِهِمْ وَعُقُولِهِمْ وَأَذْوَاقِهِمْ وَسِيَاسَاتِهِمْ وَمَعَارِفِهِمْ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، وَرَفْعُهَا عَلَيْهِ؟ أَلَيْسَ هَذَا أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مُحْبِطًا لِأَعْمَالِهِمْ؟!

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الرِّسَالَةِ التَّبُوكِيَّةِ»: قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾. فَهَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ هُدَى الرَّسُولِ ﷺ إِنَّمَا حَصَلَ بِالْوَحْيِ، فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَحْصُلُ الْهُدَى لِغَيْرِهِ مِنَ الْآرَاءِ وَالْعُقُولِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَقْوَالِ الْمُضْطَرِبَةِ؟ وَلَكِنْ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾، فَأَيُّ ضَلَالٍ أَعْظَمُ مِنْ ضَلَالِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْهِدَايَةَ لَا تَحْصُلُ بِالْوَحْيِ، ثُمَّ يُحِيلُ فِيهَا عَلَى عَقْلِ فُلَانٍ وَرَأْيِ فُلَانٍ؟ وَقَوْلِ زَيْدٍ وَعَمْرٍو؟. اهـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَمْ يَزَلْ أَهْلُ الْعِلْمِ يَجْلِبُونَ بِخَيْلِهِمْ وَرَجِلِهِمْ عَلَى كُلِّ مَنْ عَارَضَ السُّنَنَ الثَّابِتَةَ بِالْآرَاءِ الْفَاسِدَةِ، وَالْعُقُولِ السَّمِجَةِ الْبَارِدَةِ، وَقَدْ أَبْلَوْا فِي ذَلِكَ بَلَاءً حَسَنًا، فَأَوْضَحُوا الْحُجَّةَ، وَبَيَّنُوا الْمَحَجَّةَ، وَلَمْ يَدَعُوا لِقَائِلٍ مَقَالًا. وَمِمَّا سَلَكُوهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الطَّرَائِقِ لِدَحْضِ بَاطِلِهِمْ بَيَانُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى إِنَّمَا تَعَبَّدَنَا بِالْوَحْيِ الَّذِي نَطَقَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ كِتَابًا وَسُنَّةً، وَلَمْ يُرْجِعْنَا اللهُ تَعَالَى فِي تَلَقِّي الْأَحْكَامِ إِلَى الْعُقُولِ وَالْآرَاءِ، وَلَا إِلَى الْأَذْوَاقِ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِالْوَحْيِ فَهُوَ السَّعِيدُ الْمُوَفَّقُ، وَمَنْ حَادَ عَنْ هَذِهِ الْجَادَّةِ فَعَلَى نَفْسِهِ جَنَى. قَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الِاعْتِصَامِ»: لَا يَنْبَغِي لِلْعَقْلِ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ الشَّرْعِ، فَإِنَّهُ مِنَ التَّقَدُّمِ بَيْنَ

يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، بَلْ يَكُونُ مُلَبِّيًا مِنْ وَرَاءَ. ثُمَّ نَقُولُ: إِنَّ هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَعَلَيْهِ دَأَبُوا، وَإِيَّاهُ اتَّخَذُوا طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ فَوَصَلُوا.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ خُضُوعَ الْعَقْلِ لِكَلَامِ خَالِقِ الْعَقْلِ هُوَ مِنَ الْخُضُوعِ وَالِانْقِيَادِ لِلَّهِ، سَوَاءٌ ظَهَرَتْ لَكَ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ أَوْ لَمْ تَظْهَرْ، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ. فَتَقْدِيمُ الْعَقْلِ عَلَى النَّقْلِ بِزَعْمِ أَنَّ الشَّرِيعَةَ رَجْعِيَّةٌ وَمُتَخَلِّفَةٌ مِنَ الضَّلَالِ الْمُبِينِ، وَالِانْحِرَافِ الشَّدِيدِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ حَذَّرَ السَّلَفُ مِنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، أَخْرَجَ ابْنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ الْكُبْرَى» عَنْ حَنْبَلَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ: كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابًا يَسْتَأْذِنُهُ فِيهِ أَنْ يَضَعَ كِتَابًا يَشْرَحُ فِيهِ الرَّدَّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ، وَأَنْ يَحْضُرَ مَعَ أَهْلِ الْكَلَامِ فَيُنَاظِرَهُمْ وَيَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَحْسَنَ اللَّهُ عَاقِبَتَكَ، وَدَفَعَ عَنْكَ كُلَّ مَكْرُوهٍ وَمَحْذُورٍ، الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ، وَأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَدْرَكْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ الْكَلَامَ، وَالْجُلُوسَ مَعَ أَهْلِ الزَّيْغِ، وَإِنَّمَا الْأُمُورُ فِي التَّسْلِيمِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَى مَا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا فِي الْجُلُوسِ مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالزَّيْغِ لِتَرُدَّ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يُلَبِّسُونَ عَلَيْكَ، وَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. فَالسَّلَامَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي تَرْكِ مُجَالَسَتِهِمْ، وَالْخَوْضِ مَعَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ. فَلْيَتَّقِ اللَّهَ امْرُؤٌ، وَلْيَصِرْ إِلَى مَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ غَدًا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُقَدِّمُهُ لِنَفْسِهِ، **وَلَا يَكُنْ مِمَّنْ يُحْدِثُ أَمْرًا، فَإِذَا هُوَ خَرَجَ مِنْهُ أَرَادَ الْحُجَّةَ، فَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى الْمُحَالِ فِيهِ، وَطَلَبِ الْحُجَّةِ لِمَا خَرَجَ مِنْهُ بِحَقٍّ أَوْ بِبَاطِلٍ؛ لِيُزَيِّنَ بِهِ بِدْعَتَهُ وَمَا أَحْدَثَ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَضَعَهُ فِي كِتَابٍ قَدْ حُمِلَ عَنْهُ، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُزَيِّنَ ذَلِكَ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَإِنْ وَضَحَ لَهُ الْحَقُّ فِي غَيْرِهِ،** وَنَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ لَنَا وَلَكَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ».

عِبَادَ اللهِ: التَّنَمُّرُ: التَّوَعُّدُ وَالتَّهَدُّدُ، وَأَصْلُهُ مِنْ شَرَاسَةِ الْخُلُقِ، كَمَا قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي «الِاشْتِقَاقِ».

إِنَّ ضَعْفَ الْوَازِعِ الدِّينِيِّ، وَالْإِخْفَاقَ فِي التَّرْبِيَةِ عَلَى الْخُلُقِ الْقَوِيمِ أَعْظَمُ سَبَبَيْنِ فِي حُصُولِ التَّنَمُّرِ، يُضَافُ إِلَى ذَلِكُمُ الْبِيئَةُ وَالرُّفْقَةُ، وَأَثَرُهُمَا عَلَى الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي، وَلَنْ يَتَنَمَّرَ مَنْ رُفْقَتُهُ ذَوُو حِلْمٍ وَأَنَاةٍ، وَلَنْ يَحْلُمَ مَنْ رُفْقَتُهُ ذَوُو صَلَفٍ وَغِلْظَةٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْعَظِيمَةِ التَّمَسُّكَ بِالشَّرِيعَةِ، وَالْعَضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَحِمَايَةَ جَنَابِهَا عَنْ أَنْ يُخْدَشَ أَوْ يُثْلَمَ، أَوْ أَنْ تَتَسَلَّلَ إِلَيْهَا أَيْدِي الْعَابِثِينَ لِوَاذًا بِنُصُوصِهَا وَثَوَابِتِهَا، الْمُتَلَاعِبِينَ بِأَحْكَامِهَا وَمُسَلَّمَاتِهَا، وَكَمَا قَالَ عُثْمَانُ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ» بَعْدَمَا ذَكَرَ هَذَا الْأَثَرَ: أَيْ: لَيَمْنَعُ بِالسُّلْطَانِ عَنِ ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ وَالْآثَامِ، مَا لَا يَمْتَنِعُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ الْأَكِيدِ، وَالتَّهْدِيدِ الشَّدِيدِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ. اهـ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّهُ لَا عَاصِمَ مِنَ الِانْتِكَاسِ فِي دَيَاجِيرِ الظُّلُمَاتِ بَعْدَ اللهِ إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ الِاخْتِلَافِ الْكَثِيرِ، وَذَلِكَ فِيمَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». إِنَّنَا مَأْمُورُونَ جَمِيعًا بِبَذْلِ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ الْمُحَافَظَةُ عَلَى شَرِيعَتِنَا الْغَرَّاءِ، وَذَلِكَ بِصَدِّ الْأَيْدِي الْعَابِثَةِ بِهَا؛ وَذَلِكَ بِتَرْسِيخِ الْعَقِيدَةِ، وَرَدِّ شُبُهَاتِ هَؤُلَاءِ الْعَابِثِينَ، وَعَدَمِ الدُّخُولِ عَلَى صَفَحَاتِهِمْ وَقَنَوَاتِهِمْ وَمَرَاكِزِهِمْ، لَا أَقَامَ اللهُ لَهُمْ فِي بِلَادِنَا رَايَةً، وَلَا بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

وَرَحِمَ اللهُ الْعَلَّامَةَ ابْنَ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ يَصِفُ مِثْلَ هَذِهِ الْحَالِ بِقَوْلِهِ كَمَا فِي «الصَّوَاعِقِ الْمُرْسَلَةِ»: فَلَوْ رَأَيْتَ مَا يُحَرِّفُ إِلَيْهِ الْمُحَرِّفُونَ أَحْسَنَ الْكَلَامِ وَأَبْيَنَهُ، وَأَفْصَحَهُ وَأَحَقَّهُ بِكُلِّ هُدًى وَبَيَانٍ، وَعِلْمٍ مِنَ الْمَعَانِي الْبَاطِلَةِ، وَالتَّأْوِيلَاتِ الْفَاسِدَةِ، لَكِدْتَ تَقْضِي مِنْ ذَلِكَ عَجَبًا، وَتَتَّخِذُ فِي الْأَرْضِ سَرَبًا، فَتَارَةً تَعْجَبُ، وَتَارَةً تَغْضَبُ، وَتَارَةً تَبْكِي، وَتَارَةً تَضْحَكُ، وَتَارَةً تَتَوَجَّعُ بِمَا نَزَلَ بِالْإِسْلَامِ وَحَلَّ بِسَاحَةِ الْوَحْيِ مِمَّنْ هُمْ أَضَلُّ مِنَ الْأَنْعَامِ.

فَكَشْفُ عَوْرَاتِ هَؤُلَاءِ، وَبَيَانُ فَضَائِحِهِمْ، وَفَسَادُ قَوَاعِدِهِمْ مِنْ أَفْضَلِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ مَا دُمْتَ تُنَافِحُ عَنْ رَسُولِهِ»، وَقَالَ: «أُهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا دَامَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِكَ». اللَّهُمَّ وَفِّقِ الْوُلَاةَ وَالْعُلَمَاءَ وَالدُّعَاةَ أَنْ يَكُونُوا حِمَايَةً لِجَنَابِ الشَّرِيعَةِ، وَمُتَصَدِّينَ لِكُلِّ غَارَةٍ عَلَى حِمَاهَا، وَوَاقِفِينَ فِي وُجُوهِ الْعَابِثِينَ بِهَا وَبِأَحْكَامِهَا وَثَوَابِتِهَا، لَاسِيَّمَا إِذَا حَلَّتِ الْمُلِمَّاتُ وَالْفِتَنُ وَالْبَلَايَا وَالْخُطُوبُ.